

مِنْ بَيْتِ الرَّسْمِ الْمَحْمِيَّةِ

دُرَّةُ الْإِيْمَاتِ وَنَاجِ الْمَسْلُوكِ
(مَوْصُفَاتُ الْإِيْمَةِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غاية في كلمة



للطباعة والنشر والتوزيع

وطن المستقيمة
شوارع حيث أي شخص
بيتنا المشترك
ماتت: ٣٩-٣١٩ - ٨١٥١١٢
فكس: ٨١٨٦١٥ (٩٦١١)
موب: ١١٧٤٦٠
بيروت - لبنان

Resalah
Publishers

Tel: 319039 - 815112
Fax: (9611) 818615
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

Email:
resalah@resalah.com

Web Location:
Http://www.resalah.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٠ م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

نسائى حبيبات

زينة المرأة السعيدة

درة الايام وتاج الملوك
(زوجه هارون الرشيد)

رضوان كعبول

مؤسسة الرسالة
ناشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

لا يستطيع الكاتب في النص التاريخي أن يغير الحدث أو يتصور ما جرى من أحداث، دون الرجوع إلى المصادر الرئيسية، ويستوثق منها أو يراجع الروايات التاريخية ويحللها ليعتمد الأوثق والأدق ويبعد ما يراه مجانباً للصواب، ويؤكد تصوره بالحقائق فتحليل الروايات ضرورة.

وإذا أراد أن يعالج النص التاريخي بأسلوب أدبي ليقربه من القارئ لابد أن يكون قد اطلع على كثير مما خطته يدُ الأدباء الذين جعلوا أحداث التاريخ مادةً لكتاباتهم.

لقد كان الرافعيُّ أستاذاً، عالج الحدث التاريخي بأسلوب أدبي ساحر، وكان العقادُ فيلسوفاً حين أخذ على عاتقه كتابة التاريخ أو تراجع العمالة بأسلوبه الأدبي.

فكتابة التاريخ بأسلوب أدبي، تحتاج إلى عمل جاد، بعيد عن الخيال، وتحتاج إلى قدرةٍ لمتابعة الأحداث التاريخية كما يتصورها الكاتبُ من خلال ما اطلع عليه، وما رجحه.

وهذه قصة «زبيدة» قصة تاريخية دخلت الوجدان ، وأعملت في القلب ونفذت إلى أعماقه ، وأعملت في الذاكرة فكان للقلم منها نصيب .
وفقنا الله لما يحب ويرضى ، وقدم لنا الخير ، والله المستعان .

رضوان دعبول

دمشق ٢٨ شوال ١٤٢٠
٣ / شباط ٢٠٠٠

زبيدة بنت جعفر بن المنصور

أمة العزيز؛ أم جعفر، زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية،
العباسية؛ ولم تلد عباسية خليفة قط إلا هي . . .

أو مثلها امرأة في بني العباس؟

سيدة ربّات الخدور، وزوج الرشيد، وأمّ ولده الأمين.

وأبناء زوجها: المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل . .

كتب الإمام الذهبي يقول: «زبيدة السيدة المحجبة أمة العزيز،
وتكنى «أم جعفر»، كانت عظيمة الجاه والمال، وجدها المنصور هو
الذي لقبها «زبيدة» لبضاضتها ونضارتها(١)

(١) الذهبي / محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٠ / ٢٤١.

طالع السعد:

وُلِدَت السيدة «زبيدة» سنة (١٤٩هـ) في خلافة جدّها المنصور - مؤسس الدولة - وتقلّبت في النعيم بين أحضان والديها، ومات والدها، حيث وافته المنية في عز شبابه، وهي في الثالثة من عمرها، فكفلها جدّها المنصور مع إخوتها، وصار يكرمها، ويقدمها على أقرانها وقريناتها، ويحرص على تربيتها وإسعادها، ليتمّها وحبّه الشديد لأبيها الفقيد، مما أكسبها عقلاً ورأياً قد صارت بهما حدّثان الدهر وأيامه . . .

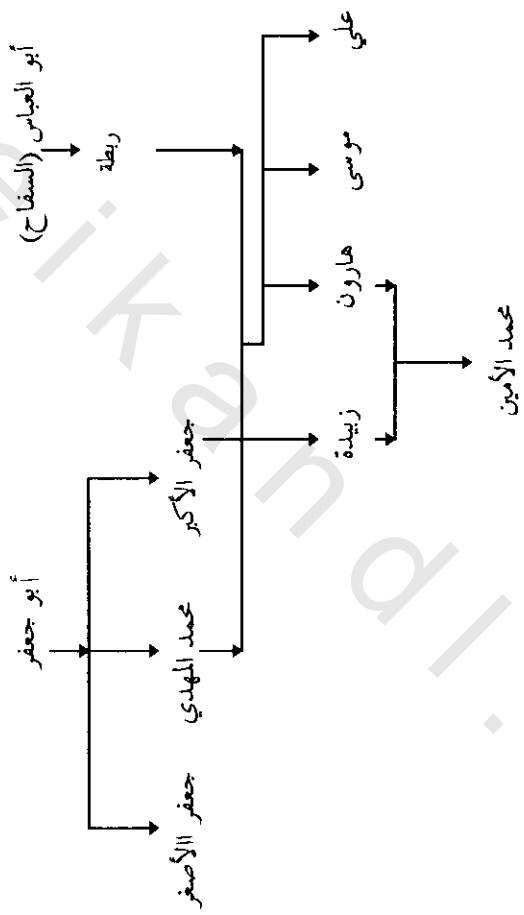
وفي عامها العاشر توفي جدّها، فكفلها عمّها «المهدي» والد «هارون الرشيد» وأفاض عليها محبة وحناناً، وأوكل بها من النساء المتعلّقات من يسهرن على تهذيبها وتثقيفها، فنشأت كأحسن ما تنشأ عليه بنات الملوك خلقاً وأدباً.

كان مولدّها بعد مولد «هارون» ببضعة أشهر في قرية تدعى «حديثة دحلة» وتسمى أيضاً «حديثة الموصل» وكانت هذه القرية من أجمل قرى العراق ذات بساتين وأشجار، كثيرة الصيد والطيور، وهي قرية من مدينة الموصل على الضفة اليمنى من نهر دجلة، حيث كانت أسرتها تتمتع بنزهتها

في موسم الربيع الجميل في «قصر حرب» الذي شيده المنصور وأهداه لابنه
جعفر الكبير.

كانت «زبيدة» بارعةً الجمال، رقيقةً القسما، ساحرةً العينين، فاحمةً
الشعر، هيفاءً القامة، ناعمةً البشرة بيضاء.

قرأت القرآن، وحفظت الكثير منه، ودرست الأدب، وروت
الشعر، ونظمت، وتلقنت الأخبار والسير، والتاريخ، فازداد اعتزازها
بإسلامها وعروبتهها وهاشميتها، وتحلت بالتقوى، وحب الخير، وصنع
المعروف.



كانت كريمة اليد إلى أبعد حدود الكرم والجود، فأحبتها القلوب،
وقربت إليها النفوس، وبالأخص بنو العباس فضلاً عن أفراد أسرة
المنصور. والذين كان منهم «هارون» رفيق الصبا..

تطورت العلاقة بين زبيدة وابن عمها هارون من حب صياني بريء إلى
عشق وافتتان، ثم إلى رغبة بالزواج. ورأت «الخيزران» والدّة «هارون»
حبّاً ولدها وميله إلى زبيدة فأيدته وشجّعته، وكاشف «هارون» أبويه في
زواجه من «زبيدة» فلم يجد ما يحول دون تحقيق هذه الرغبة في إسعاد
الحبيين، فأعلنت خطبتهما بين الناس، وتأهب القصر لإعداد حفلات
الزواج الذي تعين مواعده في شهر صفر سنة (١٦٥هـ - ٧٨١م). وأصرّت
الخيزران والدّة العروس على أن يتم ذلك في مهرجانات ضخمة،
وخصصت لهذا مبلغاً ضخماً من ثروتها الخاصة، غير ما سينفق من خزائن
المهدي والد الرشيد.

وأما ما كان في أيام العرس فقد جاء في كتاب «الديارات»^(١) أن: زوج
المهدي ابنه هارون، بابنة أخيه زبيدة، فاستعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها

(١) الشابشتي / علي بن محمد «الديارات»، ص ١٠١.

من الآلة وصناديق الجوهر، والحلي، والتيجان والأكاليل، وقباب الذهب والفضة، والطيب والكسوة، وحشر الناس من الآفاق، وفرق فيهم من الأموال أمراً عظيماً، فكانت الدنانير تجعل في جامات فضة، والدراهم في جامات ذهب، ونوافج^(١) المسك والعنبر الغالي في بواطن زجاج، ويفرق ذلك على الناس، ويخلع عليهم خلع الوشي المنسوجة...

وفي ليلة الزفاف، أضيئت الأنوار في قصر «محمد بن سليمان العباسي» زوج العباسة بنت المهدي^(٢) الذي خصّص لسكن العروسين، بعد تجميله وتأثيثه على أيدي أمهر الصناع والفنانين. وهكذا دخلت زبيدة إلى بيت جديد تحقق حلمها لها تنظر حولها لترى «بغداد» عاصمة الرشيد غارقة في زينتها وترمق زوجها بنظرات الحب، وتقترب منه فيحدثها عن أيام الصبا، ويذكرها، ثم يذكر لها كيف كان يسترق النظر إليها من بعيد، وهي تجلس مع أخواته أترابها. وكيف... وكيف...

(١) النافجة: وعاء المسك.

(٢) العباسة بنت المهدي: أخت هارون الرشيد.

وهي تبسّم، وتحدّثه أنها كانت تلمحُه بدلال، وبأنها كانت ترقب
هذا وتغضُّ الطرف عنه
ويضمها إلى صدره مدركاً دلالَ النساء، وإعراضهنَّ . .
وحياءهنَّ . . ومكرهنَّ . . .



المشهد الأول لزواج الرشيد:

كانت بغداد لا تزال تتحدث عن عرس «الرشيد» و«زبيدة»، ولا زال الناس يُرفلون بأثواب الأعياد، فما هي إلا أيام حتى وصل خبرٌ عن قيام أحد قواد الدولة المعروفين «عبد الكبير بن عبد الحميد»^(١) بغزو الروم عام (١٦٤هـ - ٧٨٠م) حيث كان قد كلف بحماية الثغر، وكان معه ثلاثة آلاف مقاتل، وكانت روح الشباب، والاستشهاد تملئ نفسه، فهو وريث شديد المراس من أبناء الخطاب. فقد سار من درب «الحدث» فقابله البطريق الرومي بعسكر في نحو تسعين ألف محارب بينهم عددٌ من فرسان الأرمن ورجال دينهم...

دارت رحى حرب عنيفة بين الطرفين صمد فيها المسلمون أول الأمر، ولكن عدم التكافؤ بالقوى أمال كفة القتال عليهم، فقتل منهم خلقٌ كثير، ولم يصمد عبد الكبير أمام الموت، فهرب تاركاً وراءه فلول جيشه طعمة للسيوف والحراب، ولم يفلت منهم غير نفر قليل، تشرّدوا في البلاد، وعاد بعضهم إلى بغداد يُحدّث الخليفة بما جرى.

(١) من ولد زيد أخي عمر بن الخطاب.

ونادى المنادي، ليلتحق الرجالُ في جيش الثَّار، واجتمعَ جيش
قوامه مئة ألف مقاتل. نُظِّمَ الجيشُ، وجُهِّزَ، وقسم إلى فرق،
وجُعِلَت القيادة العليا بيد «يزيد بن مزيد الشيباني».

وانتظر الناسُ يترقبون صدور تعيين أمير الحرب، فلا بد أن يكون
من آل بيت الخليفة . . .

وقفت «زبيدة» وهي لا تزال في أيام عرسها تسمع الإشاعات،
ومنها أن أمير الحرب سيكون «هارون» ردَّت في نفسها . . . هارون
. . . زوجي . . .!! ركضت إليه تستطلعُ الخبر هل صحيح؟ . . . هل
صحيح؟ . . . لم تتمالك نفسها أخذت تلح عليه. وتنظر إليه
متوسلة . . . وهدأ الرجل قلق عروسه يسألها: من أين لك هذا؟

وردَّت على مسامعه بأنَّ الخليفة كان قد أرسله بالأمس القريب إلى
بلاد الروم، وعاد منتصرًا، واليوم لا بد أن يكون هو . . .

لقد أصابت «زبيدة» من «هارون» وبدت على ملامحه آثارُ القلق . .
فهو لا يزال ابن التاسعة عشرة من عمره .

إلا أنه عادَ وطمأن نفسه يبعد عنها وساوسه إذ لا يعقل أن يعتمدَ عليه أبواه في مثل هذه الشدائد دون غيره . .

واستعرضَ في نفسه الرجال الأبطال بين يدي والده الخليفة منهم من مارس ميادين القتال حتى نبغَ فيها وألّفَهَا وألّفَتْه من أمراء بني العباس وغيرهم

ولم يمض وقتٌ كبيرٌ حتى نادى المنادي بأمر الحرب . . إنه هارون . .

سيدة القصر:

ومضت الأيام، وتوفيت «الخيزران» أم الرشيد ببغداد سنة (١٧٣هـ/ ٨٧٩م)، وحلت مكانها «زبيدة» لتصبح سيدة القصر، لقد أصبح زوجها الخليفة، وهي سيدة قصر الخلافة، ولكنها لم تتبذل بالتدخل في شؤون الدولة كالخيزران، ولم تهتم قليلاً أو كثيراً فيما يدور بين زوجها وبين وزرائه وقواده البرامكة سوى علمها بأنه يحبهم ويثق بهم، ويفرط في تقديرهم ورفع مكانتهم، ولم يكن يهمها ذلك بقدر ما يهمها عمل الخير، وحب الجميع، ولا فرق عندها بين من كان بالأمس من حزب موسى الهادي ضد يحيى البرمكي والخيزران أو بالعكس^(١).

إنها تحب زوجها وتوالي من يواليه، وتكره من لم يكن إلى جانبه، وتعمل على رفع مكانة خلافته بقدر المستطاع، وتناست ما كان من أمر ابن عمها «موسى الهادي» أخو «هارون» فقد عطف على أولاده التسعة اليتامى الصغار كزغب القطا. وحت عليهم ورعتهم رعاية الأم لأولادها.

(١) قصة الصراع على السلطة بين الهاشمين وبالخصوص العباسيين والبرامكة كانت على أشدها في تلك الأيام.

وكانت تحاولُ التأثير على زوجها في إعادة المياه إلى مجاريها السابقة ،
والتخفيف من حدة التوتر في الخصومات السياسية ، وتقريب المبعدين
المغضوب عليهم ، من البرامكة شيئاً فشيئاً إلى حظيرة البلاط .

وهذه لفتةٌ ، لو عرفها أهلُ الملك والسياسة ، وعملوا بها بأسلوبٍ
وعقلانية لأراحوا واستراحوا . . . ولكن !! .

لقد أقامت زمناً في «قصر الخلد» إلى جانب زوجها ترقبُ الأحداثَ
وتساعد - قدر المستطاع - ومن خلف الأستار في مواكبة الأمور . إلا أنها بنتٌ
لنفسها قصرأ في الرصافة سمته «دار القرار» وانتقلت إليه ، وهي هادئةٌ مطمئنةٌ
وولدت للرشيد ابناً سمته «محمد المهدي» أنشدَ فيه مروان بن أبي حفصة
حين ولَدَتْهُ :

لله درُّك يا عقيلة جعفر	ماذا ولدت في الندى والسودد
إن الخلافة قد تبين نورها	للناظرين على جبين محمد
إنِّي لأعلم أنه لخليفة	إن بيعة عُدَّت وإن لم تُعقد

وهكذا ظلت زبيدة تتابع أمور السياسة والحكم ، مترقبة تأمل بولاية
العهد لابنها «محمد الأمين» وهي لا تفتأ تقرب إليها من ترى في تقربه
ما يحقق مصلحة ولدها في الوصول إلى الخلافة بعد الرشيد .



بداية الصراع:

تولى «الرشيد» الخلافة، وليس له وليٌ عهد يرث العرش بعده، وكان من عادة الخلفاء أن يأخذوا البيعة لولي العهد، لما قد يُفاجئته الموتُ بغتة، فتمزق رقعة الدولة؛ لعدم وجود بيعة سابقة.

نظر «الرشيد» فلم يجد أمامه إلا ولديه «عبد الله بن مراجل» و«محمداً بن زبيدة»، وكانا يومَ تولى الخلافة طفلين رضيعين، ولم يألف المسلمون بيعةً لأحد بهذا العمر، فترك البحث في هذا الأمر فهو لا يريد إسناده لرجلٍ من غير أهل بيته.

وفي سنة (١٧٣هـ - ٨٧٩م) عاودَ «الرشيد» التفكير في الأمر، واستشار خاصته، فأشاروا عليه بتولية أحدهما. وكان المرشح لهذا «عبد الله» بوصفه الأكبر، وكان يومئذٍ في حجر جعفر البرمكي. إلا أن «زبيدة» وقفت كالعنقاء بالمرصاد، وأصرت أن تكون البيعة لابنها محتجةً بأنه هاشمي الأبوين، وليس ابن جارية كإخيه «عبد الله» وحرصت شيوخ بني هاشم، وبعضاً من رجال الحاشية، الذين

يذكرون أياديها البيضاء عليهم حين قربتهم على الرغم من خصومة
البرامكة لهم.

وكانت حوارات حادة شغلت القصر، ورجالات الدولة، وانقسمت
الآراء.

«زبيدة» ومن ورائها أنصارها، وفيهم الفضل بن يحيى البرمكي
المشرف على تربية ابنها «محمد».

و«جعفر بن يحيى البرمكي» يدافع عن حق «عبد الله بن مراجل»
ويستخف رأي خصومه.

وتأزم الموقف، فسدت «زبيدة» الطريق في وجه زوجها، وطلب
«الرشيد» «يحيى بن خالد البرمكي» والد «جعفر والفضل» وكان قد
اعتزل تلك الضجة، فلم يعط رأيه خشية أن يسيء إلى «زبيدة»
فتغضب منه، ويكون لها شأن معه.

واجتمع «الرشيد» و«يحيى» طويلاً وكان النصر لـ: «زبيدة» وابنها
«محمد» على الرغم من اقتناع الوالد الفقيه بأفضلية عبد الله المأمون

وأهليته ، وفي هذا يقول : والله إنَّ فيه حزمَ المنصور ونسكَ المهدي ،
وعزّة نفس الهادي ، ولو شئت أن أقولَ الرابعة منّي لقلت ، وإنّي
لأقدّم محمداً بنَ زبيدة ، وإنّي لأعلمُ أنّه متبّعُ هواه ، ولكن لا أستطيعُ
غير ذلك ، وقال :

لقد بانَ وجهُ الرأي لي غير أنني	غلبتُ على الأمر الذي كان أحزما
وكيف يُردُّ الدُرُّ في الضرع بعدما	توزع حتى صار نهياً مقسّما
أخافُ التواءَ الأمر بعد استوائه	وأن يُنقضَ الأمر الذي كان أبرما



ولاية العهد:

وقفت «زبيدة» في قصرها راضيةً، وقد حسمت المعركة لصالحها ترقبُ من بعيد زوجها «الرشيد» وقد جلس حوله أمراء آل بيته، ورجال الدولة من حاشية وقواد وفقهاء، وانعقد المجلس يوم ٦ شعبان (١٧٣هـ - ٨٧٩م). وأُخرج «محمد بن زبيدة» إلى الحاضرين، وأوقفَ على وسادة بجانب أبيه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم جلس . .

وقام «عبد الصمد بن علي» كبير بني العباس سنأً، وهو عم لأبي جعفر المنصور وخطب فقال:

«أيها الناس، لا يغرّنكم صغرُ السنِّ، فإنها الشجرةُ المباركة، أصلُها ثابت وفرعها في السماء».

ووقف بعضُ الأمراء من بني هاشم، وتحدّثوا بما يناسب المقام، وأخذت البيعةُ لهذا الطفل، ولقبه أبوه «محمد الأمين».

وفي سنة (١٧٥هـ - ٨٨١م) ضمَّ إليه الولاية على بلاد الشام والعراق، وجعل هذه الولاية تحت إدارة «الفضل بن يحيى البرمكي»

مريبه . وعمّت الفرحةُ ، ووقف الخطباءُ يلقون الخطبَ ، والشعراء
يلقون القصائد ، ووُزعتِ بدرٌ^(١) الدراهم والدنانير ، وفار المسك^(٢)
وبيض العنبر^(٣) ، مع كثير من الهدايا الثمينة .

وقال الشاعر «سَلَم بن عمرو الخاسر» :

قد وفق الله الخليفةَ إذ بنى بيتَ الخلافةِ بالهجان الأزهرِ
فهو الخليفةُ عن أبيه وجده شهدا عليه بمظهرٍ وبمخيرِ
قد بايعَ الثقلان مهديَّ الهدى محمد بن زبيدة ابنه جعفرِ
لقد كان انتصاراً لزبيدة ، ونُقلت هذه القصيدةُ لزبيدة مع وصف لما
جرى في المجلس ، فأمرت بأن يُملأَ فمُ الشاعر بالجواهر فَمِلئى .



(١) جمع بدرّة ، وهي : كيس المال .

(٢) أي : وعاء المسك .

(٣) العنبر ، من الطيب : روث دابة بحرية .

أمّ وليّ العهد:

اختار «الرشيد» لولديه «محمدًا المهدي» و«عبد الله» أحسن المعلمين، وأفضل المؤدبين، فكان «محمد» في حجر «الفضل بن يحيى البرمكي»، و«عبد الله» في عناية «جعفر بن يحيى البرمكي».

وكان يحرصُ على تأديبهما، ويتابع المعلمين يجتمعُ بهم واحداً واحداً، يرشدُهم إلى اتباع الطريقة التي يرغب هو في تعليمها، ويستمعُ إليهم بحرص وكان يقول لهم:

«إنَّ أميرَ المؤمنين قد دفعَ إليك مهجةَ نفسه، وثمرَةَ قلبه، فصيرَ يدك عليه مبسوطةً، وطاعتك واجبةً، فكن له حيثُ وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفهُ الآثار، وروِّه الأشعار، وبصِّره في مواقع الكلام وبدأه، وامنعهُ الضحك إلا في أوقاته، وخذهُ بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، وارفعْ مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرنْ بك ساعة إلا وأنت مغتنمٌ فائدةً تفيدها، من غير تخرق به، فتميت ذهنه، ولا تمنعْ في مسامحته ليستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإنَّ أباه، فبالشدة والغلظة...»

وكان يبعثُ ولديه إلى المساجد حيث يلقي أساتذة العلم في حلقاتهم المحاضرات، والدروس، والمواظع على الناس، ويحضرُ لهما أهل الكلام والنظر؛ ليعلموهما ما يتفقُ والسن الذي هما فيه.. ويصحبهما إلى ميادين الرياضة واللعب، ليشاهدوا أبطال القوى والفروسية، ويحضرهما إلى مشاهدة الكتائب والجيوش، وهي تستعرضُ بأسلحتها وخيولها مهارتها أمام أمير المؤمنين وعظماء الدولة.

أما «زبيدة» الأم فكانت مدفوعةً بعاطفة الأمومة تجاه وحيدها تذللُ له وسائل الأُنس، وتمنع أساتذته ومؤيديه من أن يزعجوه في الدرس والمطالعة، ويضيقوا عليه في التهذيب والتدريب والتثقيف، خوفاً من إجهاد فكره، وحرصاً على أن لا يضيق صدره، فكانت ترسل إلى معلميه، وتوصيهم بأن لا يرهقوه. وتقول لهم: «حاجتي إليكم، أن ترفقوا بمحمد، فإنه ثمرة فؤادي، وقرّة عيني، وأنا أرق عليه رقة شديدة»^(١).

فكان من جراء ذلك أن نشأ ابنها مدللاً، يستهويه اللعبُ والسمر، وينفرُ من كل ما يرهقُ الفكرَ، ويكدُّ الذهنَ، بعكس أخيه الذي شبَّ

(١) الدينوري، أحمد بن داود، «الأخبار الطوال»: ٣٨٣.

على حبّ العلم ، وتحلّى بالصبر والجلد من أجل الفائدة الفكرية ،
واتصف «عبد الله» بالذكاء ، والحافظة القوية ، مع الأناة والحزم .

وكان «جعفر البرمكي» وزير الرشيد لا يترك فرصة تمر إلا اغتتمها
للإشادة بذكاء «عبد الله» حتى كاد الرشيد يغير فكره إلا أن زبيدة كانت
واقفة بالمرصاد ، وحولها عدد كبير من بني العباس يؤيدونها في ابنها ،
والشعراء - أبواق الدعاية - قد ملؤوا سمع الناس بمدح «الأمين» ، والثناء
عليه ، ووصفه بالفضائل والمكارم إرضاءً لأمه وطمعاً بنوالها العظيم ،
حتى استقرّ الرأي العام على أنه هو - لا غيره - صاحب الخلافة بعد
أبيه ، وحتى أيقن الرشيد بأن انتزاعها منه وإعطائها لأخيه سيحدث
مشاكل وصعوبات ، لها ذيول لا تعرف نتائجها .

جاءت «زبيدة» في أحد الأيام تعاتب زوجها «الرشيد» فيما تسمع
وتلومه على ما في نفسه من هذا الأمر حتى أزعجته .

فقال لها : «ويحك إن ابنك قد زينّه في عينك ما يزين الولد في عين
والديه ، فاتقي الله ، فوالله إن ابنك لأحبُّ إليّ ، ولكنها الخلافة لا تصلح إلا
لمن كان لها أهلاً ، وبها مستحقاً ، ونحن مسؤولون عن هذا الخلق ،

ومأخوذون بهذا الأنام، فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم، ونقلب إليه
بإثمهم... » فقالت: يا أمير المؤمنين، ابني أحقُّ بما تريد، وأولى بما
لديك...

إنَّها الأنثى... إنَّها الأم، تتغلب عليها العاطفة فتسوقها ولا ترى إلا
من خلالها. هذا المنظار الذي يغير اللون ويحرف النظر فلا ترى فيه
الأم إلا وليدها... ولو كان عبداً حبشياً.



مثال نادر:

تريث الخليفة بزوجه الغيور في آفاق الخلافة، وكانت معاشرته لها معاشرة تربية ودعوة إلى التخلق بأخلاق الرفق، والحزم، والتضحية، والاستقامة، والاعتدال؛ ولا شك أن طبيعة حب هارون الرشيد لابنة عمه وزوجه «زبيدة» التي يخصصها بحبه من بين جميع النساء ليختلف عن طبيعة حب عمر بن أبي ربيعة للنساء جميعاً؛ لسبب جوهرى يتعلّق باختلاف طبيعة الرجلين: فالرشيد هو الرجل الذي يعلم طبع المرأة وهو يخالفها في طبعها، ويستجيش ضميرها، فيعلم من مجاوبتها كيف تضطرب نفسها، وتتقلب هواجسها وخواطرها.

أما ابن أبي ربيعة، فهو الرجل الذي يعلم ما في طبع المرأة لجانب أنثوي في طبعه هو؛ وشتان ما بين الرجلين.

وكانت محاورّة دارت بين الخليفة، وأم جعفر بعد كتابة الشروط على الأخوين^(١)، إيّان عودته من حجّه سنة (١٨٨هـ).

(١) كتابة الشروط على الأخوين، حصلت سنة (١٨٦هـ) حين حج الرشيد ومعه وليا عهده الأمين والمأمون، وكتب الشرطين بينهما وعلقهما في الكعبة.

قالت له : « ما أنصفتَ ابنَكَ محمداً حين وليته العراق ، وأعريته من العدد والقواد ، فَصَيَّرْتَ ذلك إلى عبد الله دونه » .

فقال لها : « وما أنتِ وتمييز الأعمال ، واختيار الرجال ، إنني وليتَ ابنَكَ السلم ، وعبد الله الحرب ، وصاحبُ الحربِ أحوجُّ إلى الرجالِ من السلم ، ومع هذا فأنا أتخوف ابنك على عبد الله ، ولا نتخوف عبد الله على ابنك ^(١) » .

ولا بدَّ من الإقرارِ هنا بعامِلِ الشخصية التي تفرز المرأة أيضاً من سائر النساء ، وتلك هي « زبيدة » سيدة القصر والملكة صاحبة التاج .

قال المؤرخون والأدباء :

« اجتمع للرشييد مالم يجتمع لأحد من جدِّ وهزل : وزراؤه البرامكة ، لم يُرَ مثلهم سخاء وثروة ، وقاضيه أبو يوسف ، وشاعره مروان بن أبي حفصة ، كان في عصره كجدير في عصره ، ونديمه عم أبيه العباس بن محمد ، وحاجبه الفضل بن الربيع أتته الناس وأشدُّها تعاضماً ، ومغنيه إبراهيم الموصلي ، واحد عصره في صناعته ، وضاربه

(١) المسعودي ، علي بن الحسين مروج الذهب ٣١٧/٦ .

زلزل، وزامره برصوما، وزوجته أم جعفر أرغبُ الناس في الخير،
وأسرعهم إلى كلِّ برٍّ، وهي أسرعُ الناس في المعروف، أدخلت الماءَ
الحرم بعد امتناعه من ذلك. . . . (١)».

(١) رواية الأتابكي، يوسف بن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢/ ٢١٢.

أبواق الرحيل:

سمعت «زبيدة» بعزم «الرشيد» للحج ، فطلبت منه أن تشاركه وتسير إلى جانبه ، فلم يمانع ، فأقسمت بأن تبذل جزءاً كبيراً من مالها وراثتها الضخم في سبيل الخير ، والتقرب إلى الله ، وراحت تستعد لذلك . .

وشاع الخبر في البلاد ، فتهياً من وجوه الأقاليم جماعات كبيرة للحج في تلك السنة ، واستقبال الرشيد في مكة التي سيأتيها ماشياً حافياً^(١) .

وفي أوائل شهر شوال من عام (١٨٨ هـ - ٨٠٤ م) خرج الرشيد من مدينة الرقة محرماً ، - وكانت تلك آخر حجّاته - ومعه زبيدة بنت جعفر تمشي بجانبه وراء ستار من أعين الحاشية والحرس الذي يراقبهما عن بعد .

ولما وصل أرض الحجاز ، خرج سكان الحرمين ووفود الحج إلى استقباله بحفاوة بالغة ، مهللين ، مكبرين ، استبشاراً بهذه البادرة

(١) أقسم الرشيد أن يحج ماشياً ، فطلب إليه القواد أن يؤجل ذلك ريثما يمهّدوا الطريق فأبى ، فكان أن رتبوا الأمر فوضعوا سرادقاً كل أربعة أميال للراحة وحج الرشيد ، وهكذا كان . .

الفريدة من نوعها، والتي شددت عرى الدين برباطٍ روحيٍّ متين، فوزعَ فيهم الهدايا، وقسمَ الأموالَ باسمه واسمَ زبيدة، حتى لم يبق في ذلك اليوم من سكان الحرمين فقيرٌ جائع، والتفتت زبيدةُ بنت جعفر إلى المشاريع الخيرية التي عازمت على تحقيقها، فأمرت بحفر البرك في الصحارى على طريق الحج، وشيدت بجانبها البيوت لراحة الحجاج على نمط البيوت التي بناها عمرو بن مسعدة^(١) في طريق الرشيد. وبنت قصرًا ضخمًا في مكة سمي باسمها، وعمرت دار أبي يوسف المشهور، ثم دعت عامل مكة وأمرته بأن يجري تلك العين التي يشرب منها المكيون داخل المدينة.

فقال لها: إن المسافة بين هذه العين وبين مكة اثنا عشر ميلًا، وإن نفقات ما تريدينه ضخمةٌ تبتلعُ المال الجسيم. فقالت له كلمتها المشهورة:

«أجر الماء إلى مكة، ولو كلفتك ضربةُ المعول دينارًا».

(١) عمرو بن مسعدة: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. وكان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد (ت ٢١٧ هـ).

فكان لها ما أرادت ، وجرى الماء إلى مكة وسميت العين باسمها ،
ولا تزال حتى اليوم ، ثم نادى كاتبها الخاص ، وأوعزت إليه بأن يجمع
أرامل الحرمين ، وأيتامهم ، ويوزع فيهم خمسة آلاف درهم باسم ابنها
محمد الأمين ، ولي عهد الرشيد ، وما زالت تعمّر وتتصدق حتى قيل :
إنها أنفقت ثمانية وخمسين ألف ألف درهم في حجتها تلك .

وضج الجميع بالثناء والحمد لله ، ومن ثم للرشيد ، وسرت
أخبارهما في البلاد .

ورآها بعض الصالحين في المنام بعد وفاتها ، فقال لها : ما فعل الله
بك ؟ فقالت : غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة .

الخطب الجلل:

في سنة ثلاث وتسعين ومئة، بينما كانت «بغداد» عاصمة دار
الخلافة تتأهب وتترّين لاستقبال أمير المؤمنين؛ إذ ساد الصمت المدينة،
وضجت المآذن بترتيل آيات الذكر الحكيم..

«كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»
سبحان الحي الذي لا يموت...

- إن أمير المؤمنين «الرشيد» قد قضى نحبه في طوس... «اللهم انفعنا
بالإحسان، واغفر لنا الإساءة، يا مَنْ لا يموت، ارحم من يموت»^(١)...

لقد مات الزوج الذي كان يحب زبيدة كثيراً ويكرمها غاية الإكرام،
وكانت هي شديدة البرّ به، والحرص على رضاه، ولم يكن يمنع عنها
شيئاً من كلّ ما تطلب من نفقة، وما يتعلق بها وبغيرها مما يسرها
وينفعها، غير أنّها بعد تلك الكرامة والعزة والأبهة، أصبحت بعد
موت الرشيد في حالة سيئة من الكآبة والذل، وخفض الجناح^(٢).

(١) من قول «الرشيد» رحمه الله.

(٢) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور»: زينب بنت يوسف، فواز العاملي ٢١٥/٢١٦. دار
المعرفة لبنان.

خرج الرشيدُ يوماً من عند زبيدة وهو يضحكُ، فقيل له : ممَّ تضحك يا أمير المؤمنين؟ فقال : دخلتُ اليوم إلى هذه المرأة - يعني زبيدة - فأقلتُ عندها وبْتُ، فما استيقظت إلى على صوتِ ذهبٍ يُصَبّ، قالوا : هذه ثلاث مئة ألف دينارٍ قدمت من مصر، فقالت زبيدة : هبها لي يا ابن عم، فقلت : هي لك، ثم ما خرجت حتى عرّبت عليّ، وقالت : أيّ خير رأيته منك؟

وقال الرشيدُ مرةً للشاعر «المُفَضَّلُ الضَّبِّي»^(١) : ما أحسن ما قيل في الذئب، ولك هذا الخاتم، وشرأؤه ألف وست مئة دينار. فأنشد قول الشاعر:

ينامُ بإحدى مُقَلَّتَيْهِ ويتقي بأخرى الرزايا فهو يقظانُ نائمٌ
فقال : ما قلتَ هذا إلا لتسلبنا الخاتم . ثم ألقاه إليه . فبعثت زبيدة فاشتريته بألف وست مئة دينار، وبعثت به إلى «الرشيد»، وقالت : إنِّي رأيتك معجباً به . فردّه إلى «المفضل» والدنانير، وقال : ما كنّا لنهب شيئاً ونرجع فيه .

(١) هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي، أبو العباس، علامة بالأدب والشعر، من أهل الكوفة . له : «المفضليات»، «معاني الشعر»، (ت ١٦٨ هـ). «الأعلام» ٧/ ٢٨٠ .

واختلف «الرَّشيد» و«أُمُّ جعفر» في اللوزينج والفالودج أيُّهما أطيبُ،
فمالت «زبيدة» إلى تفضيلِ الفالودج، ومالَ «الرَّشيد» إلى تفضيلِ
اللوزينج، وتخطرا على مئة دينار، فأحضرا «أبا يوسف» القاضي، وقالَا
له: يا «يعقوب» قد اختلفنا في كذا على كذا، وكذا فاحكم فيه، فقال: يا
أمير المؤمنين: ما يُحكَّمُ على غائبٍ وهو مذهبُ أبي حنيفة، فأحضر له
جامعين من المذكورين، ففطَّقَ يأكلُ من هذا مرَّةً، ومن هذا مرَّةً، وتحقَّقَ أنَّه
إنَّ حكمَ للرَّشيد لم يأمن غضبَ «زبيدة»، وإنَّ حكمَ لها لم يأمن غضبَ
«الرَّشيد»، فلم يزل في الأكلِ إلى أن نصَّفَ الجامين، فقال له «الرَّشيد»:
إيه «أبا يوسف»، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيتُ خصمين أجدلَ منهما،
كلَّما أردت أن أسجِّلَ لأحدهما أدلَى الآخر بحجَّتِه، وقد حرَّتُ بينهما،
فضحك «الرَّشيد»، وأعطاه مئة دينار، وانصرف مشكوراً^(١).

وقال «الرَّشيد» لزبيدة يوماً: أتزوجُ عليك؟

قالت «زبيدة»: لا يحلُّ لك أن تتزوَّجَ عليَّ.

قال: بلى.

(١) ابن خلكان، أحمد بن بكر بن أبي بكر، «وفيات الأعيان»: ٣١٦/٢ دار صادر بيروت.

قالت : بيني وبينك ما شئت .

قال : ترضين بـ«سفيان الثوري» ؟

قالت : نعم ، فوجهه إلى «سفيان الثوري» ، فقال «الرَّشِيدُ» : إِنَّ «زَيْدَةَ»
تَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَانكِحُوا مَا
طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ ، ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالَ «سُفْيَانُ» :
تَمَّ الْآيَةُ ، يَرِيدُ أَنْ يَقْرَأَ : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء : ٣] وَأَنْتَ
لَا تَعْدِلُ ، فَأَمَرَ لِسْفِيَانَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَأَبَى سُفْيَانُ أَنْ يَقْبَلَهَا (١) .



(١) الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله ، أبو نعيم «حلية الأولياء» : ٣٧٨ / ٦ .

موت الرشيد وتولية محمد الأمين:

مات «الرشيد» الزوجُ المحب، وذرفت الزوجةُ دموعات حرّى على زوجها، مات الحبيبُ والرفيق، وحبيب الصبا، ورحلَ بعد مرضٍ أَلَمَّ به، وفارق الديار والأهل، وترك البلادَ والعبادَ ليلقى ربه.

وقدمت «زبيدة» من الرقة مُحَمَّلة خزائنها، وما حوته من التحف والقماش، وتلقاها ولدها «الأمين» في الأنبار^(١) احتراماً لها وتقديراً.

ونظرت في الوجوه . . . منكسرة النفس . . . لقد مات الزوجُ الذي كان يحب «زبيدة» كثيراً ويكرمها غاية الإكرام، وكانت هي شديدة البرّ به، والسعي إلى رضاه، ولم يكن يمنع عنها شيئاً من كلِّ ما تطلب من نفقة، ويهتم بكل ما يسرها، غير أنها بعد تلك الكرامة، والعزة والأبهة، أصبحت في حالة سيئة كئيبة حزينة خفيضة الجناح^(٢).

وتولّى «الأمين» الخلافة، ومرت الأيام، وبدأ الصراعُ بين الأخوين «الأمين» و«المأمون».

(١) الأنبار: مدينة قريبة من بغداد.

(٢) العاملي: زينب بنت يوسف فواز، «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» ص ٢١٥، ٢١٦، دار المعرفة، لبنان.

وذات يوم ؛ دخلت «زبيدة» باكيةً على ولدها «الأمين» وقد أحيط بالعدو فقال لها : إنَّه ليس بجزعِ النساءِ وهلعهنَّ عقدت التيجان ، والخلافةُ سياسةٌ لا تسعها صدور المراضع وراءك .

ومرت الأيامُ ، واشتد الصراعُ بين الأخوين ، وتمكن «طاهر بن الحسين» من قتل ولدها فكان سبباً في قتله ، ورُوِّعت الأيمُ الهاشمية بمقتل ولدها ثمرة فؤادها .

لقد تمكَّن طاهر بن الحسين من قتل ولدها الأمين ، فإذا بأركان الخلافة تتداعى . . . وإذا بالأمور قد انقلبت . .

فماذا كان من شأنِ أمةِ العزيز . . ؟

لقد أصابَ القاتل كبدَ الوالدةِ فمزقه ، لكنَّ قلبها المنطوي على حبِّ ابن عمها الفقيد لم يزل فياضاً بحرارة الإيمان ، فإذا بالسكينة تنزل عليها ، وإذا بالطمأنينة تسكب جلالها في قلبها فتثبَّتْها .

لكنَّ ألمَ الجرح وكوامن النفس لا تعدم وسيلتها في استشارة الثكلى المفجوعة ، فتطلق الكلمات فوارة من صميمها ، وتستحيل شعراً جيّاشاً في رثاء ابنها :

أودى بألفين من لم يترك الناسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له
فبت متكئاً أرعى النجوم له
والموت كان به والهم قارنسه
رزئته حين باهيت الرجال به
فليس من مات مردوداً لنا أبداً
فلما قرأها المأمون بكى وقال : أنا الطالبُ بثأرِ أخي قتلَ الله
قتلته .

من مآثر «زبيدة»

ذكر المؤرخون أنه لما قتل محمد الأمين دخل إلى زبيدة بعض خدمها فقال : ما يجلسك وقد قُتِلَ أمير المؤمنين «محمد»؟
فقالت : ويلك وما أصنع؟ .

فقال : تخرجين فتطلبين بثأره ، كما خرجت «عائشة» تطلب بدم «عثمان» .

فقالت : إخساً لا أم لك ، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال؟! .

ثم أمرت بثيابها فسودت ، ولبست مسحاً من شعر ، ودعت بدواة وقرطاس ، وكتبت إلى المأمون (١) :

وأفضل سام فوق أعواد منبر	لخير إمام قام من خير عنصر
وللملك المأمون من أم جعفر	لوارث علم الأولين وفهمهم
إليك ابن عمي من جفوني ومحجري	كتبت وعيني تستهل دموعها
وما نالني من ناقص الخلق أعور (٢)	يعز علي هارون ما قد لقيته
وأرق عيني يا ابن عمي تفكيري	وقد مسني ضررٌ وذلٌ كآبة

(١) كحالة ، عمر رضا ، أعلام النساء مؤسسة الرسالة - بيروت - ٢٧٢ عن مروج الذهب .

(٢) تعني طاهر بن الحسين .

سأشكو الذي لاقيته بعد فقدته إليك شكاة المستهام المقهر
وأرجو لما قد مرّ بي مذ فقدته فأنت لبّشي خير رب مغير
فأخرجني مكشوفة الوجه حاسراً وأنهب أموالي وأحرق أدوري
فإن كان ما أسدى لأمر أمرته صبرت لأمر من قدير مقدر
تذكر أمير المؤمنين قرابتي فديتك من ذي حرمة متذكر

فلما قرأ «المأمون» شعرها بكى ، ثم قال : اللهم إني أقول كما قال أمير
المؤمنين «علي بن أبي طالب» كرم الله وجهه ، لما بلغه قتل «عثمان» : والله ما
أمرت ولا رضيت . اللهم جلل قلب طاهر^(١) حزناً .

واعتذّر إليها من قتل أخيه «محمد» وقال : لست صاحبه ولا قاتله .
فقالت : يا أمير المؤمنين إنّ لكما يوماً تجتمعون فيه ، وأرجو أن يغفر
الله لكما إن شاء الله .

وفي رواية الخطيب البغدادي أنّ زبيدة قالت للمأمون عند دخوله بغداد :
«أهنتك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك ، ولئن كنت قد
فقدت ابناً خليفة ؛ لقد عوّضت ابناً خليفة لم ألدّه ، وما خسر من اعتاض
مثلك ، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك ، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ ،

(١) طاهر بن الحسين .

وإمتاعاً بما عوّض». .

ثم أخذ «المأمون» - بعد ذلك - يزيدُ في تكرمة «زبيدة» وأسرتها فكان يوجه إليها في كلِّ سنة مائة ألف دينار جديداً وألف ألف درهم^(١) .

وآثارُ «زبيدة» باقيةٌ ومشملةٌ على عمارَة عظيمة مما يتنزّه برؤيتها على يمينِ الذهابِ إلى منى من مكة، ذات بنيانٍ محكمٍ تقصر العبارة عن وصفِ حسنه .

ووصفَ اليافعي في القرن الثامن للهجرة تلكَ العين، فقال: إنَّ آثارها باقيةٌ ومشملةٌ على عمارَة عظيمة عجيبة، مما يتنزّه برؤيتها على يمينِ الذهابِ إلى منى من مكة، ذات بنيانٍ محكمٍ في الجبال، تقصر العبارة عن وصفِ حسنه، وينزل الماء منه إلى موضعٍ تحت الأرض عميق، ذات درج كثير جداً، لا يوصل إلى قراره إلاَّ بهبوط كالبير، يسمونه لظلمته يفزعُ بعضُ الناس إذا نزل فيه وحده نهاراً فضلاً عن الليل^(٢) .

وقال ابنُ جبّير بعد أن ذكر المصانع، والبرك، والآبار، والمنازل التي من بغداد إلى مكة: إن كلَّ ذلك من آثار «زبيدة»، فانتدبت لذلك مدة

(١) كحالة، عمر رضا، «أعلام النساء»: ٢٣/٢ مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٢) كحالة، عمر رضا، «أعلام النساء»: ٣٧/٢ مؤسسة الرسالة - بيروت .

حياتها، فأبقت في هذه الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك، لما سلكت هذه الطريق، والله كفيل بمجازاتها، والرضى عنها^(١).

وينسب إلى «زبيدة» مسجد «زبيدة أم جعفر» ببغداد، كان قريباً من مسجد الشيخ «معروف الكرخي»، وقد اندرس سنة ١١٩٥ هـ، وكان هذا المسجد واسعاً وطيد البناء قوي الأركان، ولما بنى سليمان باشا الكبير والي بغداد سور الجانب الغربي، استعملت أنقاضه في بناء السور، ولم يبق من ذلك المسجد سوى قبر «زبيدة»، وعليه قبة مخروطية الشكل من نوادر الفن المعماري.

وينسب إليها (المحدث)، وهو منزل في طريق مكة بعد النقرة، على ستة أميال منها، فيه قصر وقباب متفرقة، وفيه بركة وبئران مأوئهما عذب، وينسب إليها (العنابة)، وهي بركة لزبيدة بعد قباب على ثلاثة أميال تلقاء سميراء، وبعد توز، ومأوئها ملح غليظ، وتنسب إليها بركة أم جعفر، وهي في طريق مكة بين المغيشة

(١) ابن جبير، محمد بن أحمد رحلة ابن جبير: ص ١٦٥ دار صادر - بيروت.

والعذيب، ويُنسب إليها القنيعة، وهي بركةٌ بين الثعلبية والخزيمية بطريق مكّة، وينسب إليها الحَسَنِيُّ، وهو بئر على ستة أميال من قَرَوْرَى قرب معدن النقرة، وينسب إليها الزبيدية، وهي بركةٌ بين المغيثة والعذيب، وبها قصرٌ ومسجدٌ عمرتهما «زبيدة».

وكان في قصرها من الجوّاري نحو مئة جارية، كلُّهنَّ يحفظن القرآن، وكان يُسمَعُ لهنَّ في القصر دويٌّ كدوي النحل.

وفاتها:

كانت وفاتها ببغداد في جمادى الأولى سنة (٢١٦هـ) وورد أنها
رؤيت في المنام فسُئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات ، وما
عملته في طريق الحج ، فقالت : ذهبَ ثوابُ ذلك كله إلى أهله ، وما
نفعنا إلا ركعاتٌ كنت أركعهنَّ في السَّحَرِ . . .

رَحِمَكَ اللهُ أُمَّ جَعْفَرٍ ، وأدخلكِ فسيحَ جنَّاته . . .
لقد كنتِ من النساءِ الحبيباتِ ، الأثيراتِ على النفسِ ، إِنَّهُ الْبَيْتُ
الطيبُ الذي يفوحُ بريحِ المسكِ .



المراجع

- ١- تاريخ بغداد ١٤ / ٤٣٣ .
- ٢- حلية الأولياء ٦ / ٣٧٨ .
- ٣- البداية النهاية ١٠ / ٢٢٢ .
- ٤- الديارات للشابشتي ١٠١ .
- ٥- المسعودي (في مواضع مختلفة) .
- ٦- النجوم الزاهرة ٢ / ٢١٣ .
- ٧- وفيات الأعيان (في مواضع مختلفة) .
- ٨- أعلام النساء : عمر رضا كحالة (في مواضع مختلفة) .
- ٩- الدر المنثور : ٢١٥ .
- ١٠- سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٢٤٠ .
- ١١- رحلة ابن جبير : ١٦٥ .
- ١٢- الأخبار الطوال الدينوري .

الأسئلة

س ١- ما الاسم الحقيقي لـ «زبيدة» بنت جعفر، ولماذا غلب عليها

لقب زبيدة . ؟

س ٢- عاشت أم جعفر في أوج الدولة العباسية ، وتقلّبت في ظروف

وأحوال شتى من النعم والمحن . . .

هل كانت «زبيدة» عظيمة في كل مواقفها؟ وما علاقة شهرتها

ورجاحة عقلها بظروف نشأتها وتربيتها؟

س ٣- الكرم والجود صفة لازمة للسلالة الهاشمية من قديم الزمان .

ما ترتيب زوجة الرشيد في رأيك؟ وهل تستطيع استعراض بعض

آثارها؟ .

س ٤- عندما دخلت زبيدة باكية على ولدها الأمين وقد أحيط

بالعدو، قال لها ولدها: «إنه ليس بجزع النساء وهلعهن عقدت

التيجان، والخلافة سياسة لا تسعها صدور المراضع وراءك . . .»

والسؤال: هل هذه المقولة «للأمين» تفسّر ما قد ارتآه الخليفة

«الرشيد»، وغلب على أمره فيه ، حين عقد لولده «الأمين» الولاية وقدمه على أخيه؟

س٥- هناك نوع من المواقف يلتزمها الإنسان في حياته ، يستطيع بعدها أن يلقي بكل أعماله في البحر ، ثم يقف بهذا العمل أو الموقف الخالد وحده .

هل في جواب «زبيدة» «إخساً لا أمّ لك» ؛ لمن دخل عليها يحرضها على طلب دم ولدها ، ثم في صنيعها يوم دخل «المأمون» بغداد : «أهنتك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك . . .» . ما يشهد لها بذلك ؟ .

الفهرس

٥	المقدمة
٧	زبيدة بنت جعفر بن المنصور
٨	طالع السعد
١٤	المشهد الأول لزوج الرشيد
١٧	سيدة القصر
٢٠	بداية الصراع
٢٣	ولاية العهد
٢٥	أم ولي العهد
٢٩	مثال نادر
٣٢	أبواق الرحيل
٣٥	الخطب الجلل
٤٢	من مآثر زبيدة
٤٧	وفاتها
٤٨	المراجع
٤٩	أسئلة
٥١	الفهرس